ليبيا - بحث حول هذه الكلمة

محمد مصطفى بازامة

ليبيا كلمة دلت في عصور ما قبل الميلاد وبعده على جزء من الشمال الافريقي اتسع حتى شمل ما بين النيل وشاطئ المحيط الأطلنطي تارة وانكمش حتى الاقتصار على جزء من الاقليم الذي يحمل الآن هذا الاسم تارة أخرى.

وقد قامت حول هذه التسمية نظريات عدة منها اللغوية والتاريخية والدينية ولا يزال العلم ينتظر كلمة الفصل في اثبات أصلها الذي تفرعت عنه واشتقت منه رغم أن الأستاذ صاحب (المجمل في تاريخ لوبيه) يؤكد في صراحة نسبتها إلى اليونانية معتمدا فيما يبدوا على ما ذكره العلامة المرحوم أحمد زكي باشا في كتابه (قاموس الجغرافية القديمة) حول هذا الاسم بالذات من أن النطق المستقيم للكلمة هو «لوبيه» لأن الحرف «Y» في اليونانية القديمة مثابة الواو العربية وأن الذين ينطقونها «ليبيا» إنما يراعون النطق الفرنسي لها ليس إلا.

ونجد من بين العلماء المختصين بأصول اللغات من ينسبها إلى السريانية أو إلى اليونانية أو إلى لغة القوم الوطنيين ومن المؤرخين من ينسبها إلى امرأة أو معبودة وطنية ولكل فئة رأيها وحجمها، الذين نسبوها إلى الفينيقية أو قالوا بأن ليبيا مشتقة من كلمة «**Lebia**» الدالة في اللغة الفينيقية وكذلك في العربية على اللبؤة والمقصود بهذه التسمية في نظرهم الإشارة إلى أنها «بلد الآساد» ويبدو هذا التعليل غريبا إذا ما قورن بطبيعة الإقليم الليبي نفسه الذي تعيش السباع فيه ولكن إذا ما رجعنا إلى عالم الميثولوجيا نجد أن قورينة العذراء التي أغرم بها أبولون «Apollo» التي تصارع الوحوش وتفتك بالآساد، والذين قالوا بأنها عبرية الأصل يرونها كلمة مركبة من كلمتين هما «ليب و يم» ومعناها قبل وبحر والمقصود في نظرهم أنها تعني بلاد ما وراء البحر.

والذين أرجعوها إلى الإغريقية قالوا أنها مشتقة من كلمة « Libs » الدالة في اللغة اليونانية القديمة على الريح الجنوبية التي تهب من جهة افريقيا ولا تزال كلمة ليبيتشو « LIBECCO » المشتقة عنها تدل في اللغة الإيطالية على ريح الجنوب أو الرياح الافريقية، ويرى هؤلاء أن المقصود بليبيا الإشارة إلى أنها بلد الجنوب.

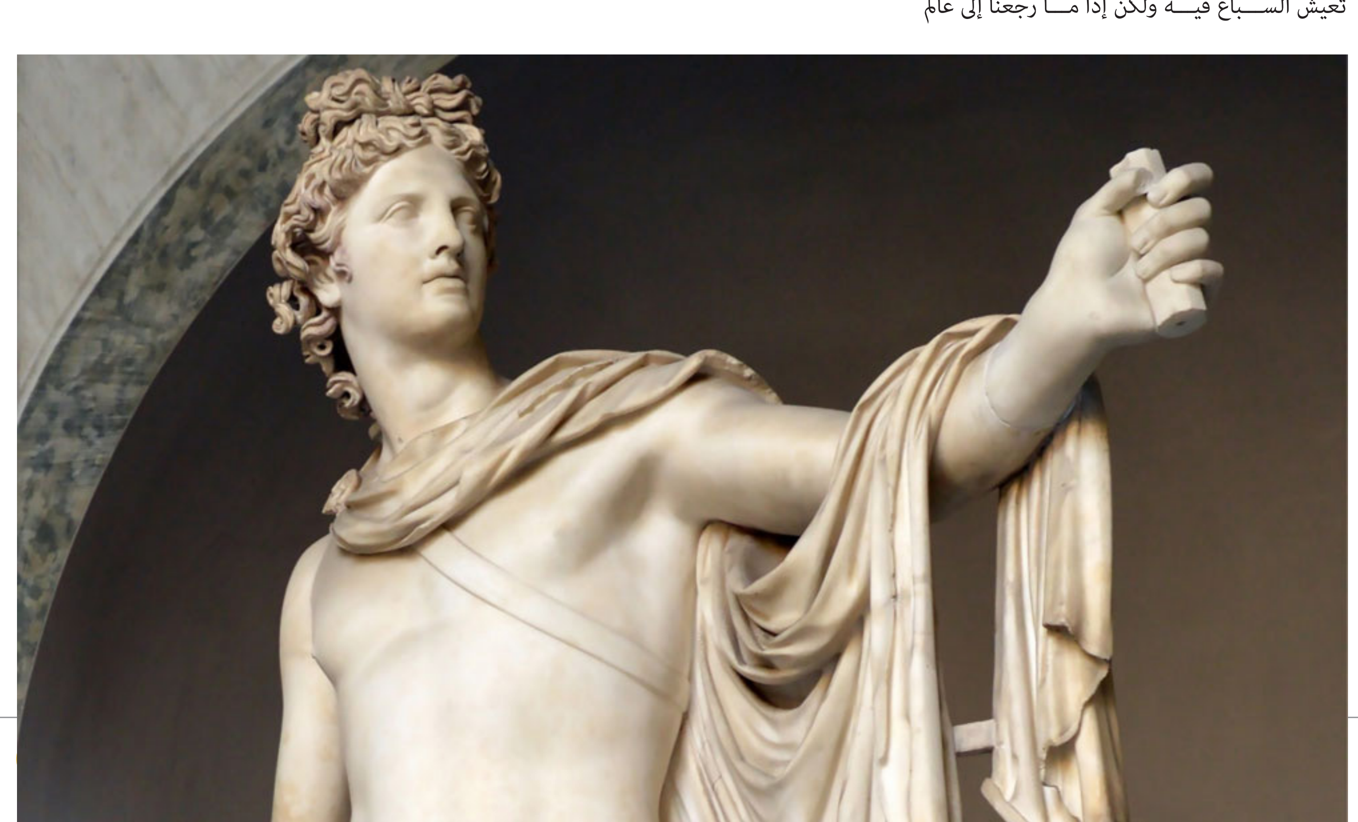
أما أولئك الذين ردوها إلى لغة سكان البلاد نفسها فقد قالوا بأنها اشتقت من اسم قبيلة وطنية اسمها «ليبو أو لوبا»، وليبيا اسم اقليم عرفه الإغريق وسكنوه قرونا امتزجوا خلالها بأهله ومن اطلع على تاريخ الإغريق يلاحظ ولا شك مدى ما يخالطه من أساطير قلما تجد حادثة أو اسما ليست له أسطورة تصله بعهد الآلهة من قريب أو بعيد وهكذا خلقوا لليبيا أسطورتها وقالوا بأنها ابنة «اباقو» «Epafo» أو «Epaso» ازيس المصرية ملكة مصر وعروس بوسيدون «Poseidone» «نبتون» اختطفتها هيرا «Hera» ليلة زفافها وأخفتها بالصحراء غيرة منها.

اقتباسات

أول من استعمل اسم ليبيا حديثا في ورقة رسمية

أول مرة يرد فيها اسم «ليبيا» في وثيقة قانونية رسمية كانت منشور كارلو كانيفا C.CANEVA قائد حملة الغزو الإيطالية، والحاكم العسكري لليبيا المحتلة وقد صدر هذا المنشور في طرابلس بتاريخ 7 أبريل 1912 م وينص على دعوة الشركات والمؤسسات القائمة بالفعل في ليبيا إلى التقدم لسلطات تسجيل الشركة أو المؤسسة في السجل التجاري للولاية، وأول مرة يرد فيها اسم ليبيا في مرسوم ملكي أو قانون كان المرسوم الإيطالي رقم 1133 بتاريخ 1 أغسطس 1912 م، وكان بخصوص انتداب رجال القضاء الإيطاليين للعمل في ليبيا.

محمد مصطفى بازامة



ربما هذه الأسطورة ترجح الرواية التاريخية القائلة بأن ليبيا ابنة لأحد ملوك مصر ملكت البلاد نفسها فنسبت إليها وعرفت باسمها، وليست من هذه بعيدة كذلك الرواية التي ذكرها هيرودوت من أن ليبيا اسم لامرأة وطنية سميت البلاد باسمها. وهنالك نظرية أخرى تقول بأن ليبيا اسم معبودة وطنية قديمة عرفها الاغريق فنسبوا البلاد إليها ويذهب بعض هؤلاء إلى احتمال أن «تانيت» معبودة قرطاجنة هي نفس المعبودة القديمة التي عرفها الإغريق باسم ليبيا.

ويروي لنا بعض المؤرخين أن للمعبودة ليبيا مراسم وطقوسا دينية تشبه مراسم المعبود المصري « امون الكبشي Gife Ammone » ونجده في بعض مسكوكات قورينا فيما بين القرن الرابع والأول قبل الميلاد رسما لرأس ليبيا مع بعض المعبودات المصرية.

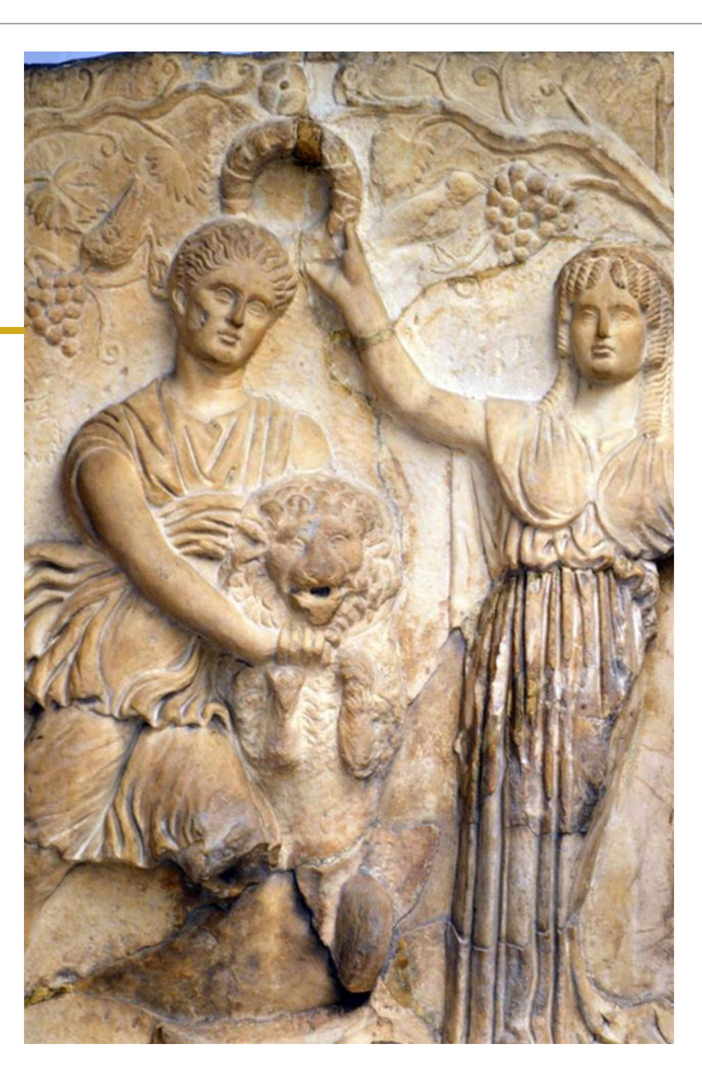
وليبيا كما يعرفها إغريق قورينا هي واهبة الجوائز والأكاليل ومتوجة الملوك لذلك نجد في لوح يعرف باسم دي كاربوس «Di Carbos» من آثار الإمبراطورية الرومية محفوظ بالمتحف البريطاني نقشا يمثل ليبيا وهي تضع الإكليل على رأس قورينة بينما هذه تفتك بأسد وذكر لنا بوزانيوس «Bausanius» – القرن الثاني الميلادي – أن من بين التماثيل التي أهديت لمعبد أبولون دلفو عند القرن الخامس قبل الميلاد تمثالا للمعبودة ليبيا وهي تتوج الملك باطو الأول «Batto» مؤسس الأسرة وأول ملك إغريقي بقورينة.

وقسم جغرافيو الإغريق القدماء العالم القديم إلى ثلاث قارات آسيا أوربة وليبيا «افريقيا» ونشير من بين هؤلاء إلى بطليموس المؤرخ وإلى العلامة القوريني إيراتوستينس «Araiostones» أول من قاس محيط الكرة الأرضية ونجد ليبيا تحد في عهد الامبراطورية الرومية من الغرب بمؤاد الأخوين فيليني عند المكان الذي أقام فيه الإيطاليون قوسا اطلقوا عليه اسم «Arco dei Fileni» أما من الشرق فإلى الغرب من مدينة الاسكندرية، وقد كانت صحراء مصر الغربية والتي يسمونها بالصحراء الليبية تكون قسما من الأراضي الليبية ويسكنها أقوام من ليبيا إلى عهد الأسرة الثانية والعشرين الليبية حينما ضمها شيشنق «Sheshonok» إلى المملكة المصرية في عهد جلوسه على عرش الفراعنة ويبدو أنها في عهد الرومان رجعت إلى ليبيا مرة أخرى واستمرت حتى عصر الإسلام وإلى نزوح بني هلال وسليم تكون جزءاً من الاقليم ا لليبي .

وكان الرومان يقسمون ليبيا إلى قسمين ليبيا العليا وتحد من شرقها بالعقبة «السلوم» وليبيا السفلى أو الجافة وهي ما وراء ذلك إلى الشرق.

هكذا نجد النظريات حول اسم ليبيا تختلف والآراء تتضارب ويناقض بعضها بعضا مما يدعونا إلى الخوض في مناقشتها لترجيح أحدها لمعرفة الأصل اللغوي الذي اشتقت منه كلمة ليبيا ولسنا نود بهذا إبداء القول الفصل المنتظر حولها فإن هذا لسنا من أهله.

نضمن هذا المقال سبع نظريات: أربع منها لغوية واثنتان تاريخيتان وواحدة دينية



لوحة DE-CARPOS الرخامية تمثل الحورية قوريني على اليسار و هي تخنق أسدا بينما الإلهة «ليبيا» تقوم بتتويجها. اكتشفت هذه اللوحة في شحات في سنة 1891م، و هي الآن معروضة في المتحف البريطاني.

ونستبعد منها القول بأن هذا الاسم لإبنة أحد ملوك مصر لما سبق أن أشرنا إليه من تشابه بين هذه والأسطورة من جهة ولأن التاريخ المصري لا يحدثنا عن امرأة ملكت ليبيا او استولت عليها سوى الملكة «حتشبسوت» من الأسرة الثامنة عشر ولم يسموها ليبيا ولو تكنية من جهة أخرى.

كما نستبعد رواية هيرودوت لافتقارها إلى إيضاح أو سند تاريخي يدعمها، فما من تعليل للسبب الذي حمل الناس على تسمية الاقليم باسم امرأة وطنية، ولا يكفي قوله بأنه الاعتقاد السائد بين أهل البلاد في زمنه فإن عقلية الشعوب إذ ذلك متأثرة جدا بالأساطير والخرافات، بل هذا يدعونا إلى احتمال كونها تمت إلى الأسطورة السابقة بصلة.

وكذلك لا نرى اشتقاقها من السريانية نظرا لأن الأمم التي تتخاطب بهذه اللغة لم تتصل بالليبيين اتصالا مباشرا يؤثر في اللغة إلى حد فرض الاسم عليها.

بقيت لدينا نظرية بأنها فينيقية أو عبرية الأصل اذا قصد بليبيا الاشارة إلى أنها بلد الآساد لأن هذا لا يتفق مع طبيعة الاقليم كما ذكنا اللهم إلا اذا اعتمدت على الأسطورة وهذه ترجع بأصلها إلى تساليا «Tessalia» من بلاد الإغريق أو باعتبار أن ليبيا اسم لقارة افريقيا – عدا مصر المعتبرة قديما آسيا – وفي هذا ضعف تاريخي فلم تطلق على القارة الا من الإغريق وفي زمن تلى ذكرها كاسم لذات الإقليم ولذلك فالنظرية في كلا الحالتين واهية.

أما اشتقاقها من كلمة ليبس «Libs» اليونانية فأمر محتمل جدا فهي بالنسبة إلى بلاد اليونان جنوبية وكثيرا ما نسبت البلاد إلى الجهات الأصلية فيها، فنحن نسمي ما يقع إلى الجنوب أرض القبلة وسكانها أهل القبلة وأهل طرابلس وما يقع إلى الغرب منها غرابة ونحن معهم في مصر مغاربة، وهؤلاء سكان آسيا جميعا يسمون بالشرقيين بل إن اسم آسيا نفسه تدور

حولــه نظرية تــرى أنــه كلمة تعنــي في إحدى اللغــات الهندية الــشرق، ولكن رغــم ما في هذا الرأي من رجاحة فإنه لا يســتند عــلى غير اللفظ والتشــابه ويفتقر إلى حجــج تاريخية تدعمه.

لذلك.. لم يبــق أمامنا إلا القول بأنها مشــتقة من اللغــة الوطنية وســواء كانت من اســم ليبو أو لوبا أو مــن المعبــودة ليبيا الوطنية فــإن الأدلة التاريخيــة لا تنقصها والعقل يرجحهــا فالليبيون كالمصريين تؤثــر عليهم النزعــة الدينية ولا غرابة مع هــذا في أن تنســب البلاد إلى المعبــودة التي يديــن لها ســاكنوها من جهة، ومــن جهة أخرى كثيرا ما نســبت البــلاد إلى أهلها وهــذه جرمانيا أو ألمانيــا وجزيرة العــرب والســودان وإغريقيا وغيرها نســبت إلى ســاكنيها الجرمــان والعرب والســودانيون والإغريــق ونحــو ذلــك.. فلم لا تنســب ليبيا إلى ليبــو أو لوبا ؟

ونلاحــظ في هذه النظريات مســألة قــوة اتصال كلمــة ليبيا باللغات الســامية، ومــرد ذلك إلى أن لغة البربر نفســها تــدل على وجود صلــة بينها وبــين اللغــات الســامية وإن كانت كــما تقول دائــرة المعــارف البريطانية مســتقلة عنها، وليس في هــذا ما يعارض قــول العلامــة المرحوم أحمد زكي باشــا حول صحة نطقها لوبيا بــدلا من ليبيا فقــد وصلتنا عــن طريق اللغــة الإغريقية.

محمد مصطفى بازامة
نشــرت قديما في مجلــة «ليبيــا» فبراير 1951 وأعيد نشــرها في دوريــة «آفاق».

ليبيا في الميثولوجيا

عــرف الإغريــق « ليبيــا « فيما عرفــوه من بلاد العــالم القديم، فــكان لابد لذلك مــن أن يضعوا لها أســطورتها الميثولوجيــة التي تربطهــا بآلهة اليونــان وأن يســكنوها عــالم الآلهــة وفي جبل الأوليمــب، وكان لابــد لذلك مــن أن ينحتوا لها تمثالها الذي يجســدها كما جســدوا جمي آلهتهم في تماثيل نحتوها في أشــكال وأوضاع تخيلوها لها، وكانت هــذه عقيــدة عامة تمكنهم مــن التعبد لهــا والتقرب منها وتقديم القرابــين لها، والحضارة اليونانيــة تديــن لمعتقداتهــا الميثولوجية بكل ما أبدعــه إزميــل نحاتيها مــن روائع فنيــة رائعة الذوق، بديعــة الجمال.

إن إنســان القــرن العشرين قد بلــغ درجة من الوعــي والإدراك لنواميس الطبيعــة جعلته يدرك ســلوكها ويكتشــف بعض قوانينها، ويتمكن من تســخيرها بإرادته لخدمتــه، أن انســان ما بعد انبثاق الأديان الســماوية قد بلــغ بعقله وأصبح عــلى مرحلــة متقدمة مــن الســمو الروحي في معتقداتــه انتهت بــه إلى التوحيــد وإلى التنزيه الــذي عرفه المؤمن بالإســلام.

لكــن إنســان ما قبــل التاريخ وإنســان الحضارات الســابقة جميعهــا كان دون ذلك بمراحل ســواء فيــما يتعلق بإدراكه لنواميــس الطبيعــة وقوانينها أو فيما يتعلــق بفهمه لحقيقــة الألوهية، ولذلك كان يــرى في قــوى الطبيعة الجبــارة وظواهرها الكــبرى ومعالمها البــارزة قوة تفــوق قدراته تخيفه أو تجذبــه، فخلــط بينهما وبين فكــرة الربوبيــة الفطرية في أعماقــه وتصور لكل ظاهــرة إلها ولكل مظهــر أو معلم جغرافي إلهــا فأصبحت الآلهــة عنده من الكــثرة والتعدد بدرجة مذهلــة إلى حد لا يــكاد يحصى، فللعــين إله وللنهر إلــه وللثلج إلــه وللنور إله وللظلمــة إله وللحيوانــات آلهة وإلخ.

ولقــد كان يتربع على عــرش الآلهة في بلاد اليونــان رابضا فوق جبل الأوليمب كبــير الآلهة « زيووس » أو جوبيتر كما يســميه الرومان، فجعلــوا منه أبا للإلهة «ليبيا»، وكان بوســيدون ينافســه ويتربع على عــرش الماء، فجعلوا منــه زوجا لليبيا وأولــدوا لهما الأولاد، وربطــوا بينها كشــخصية ميثولوجية وبين الجد الأســطوري لكل من المصريين والفينيقيــين فجعلوا منها بنتا لأحدهما وأمــا للآخر، وهكذا أدخلت ليبيــا كمعبــودة أسرة الآلهة الأولمبية الكــبرى وأصبحت لها طقوســها وعبادتها كبقيــة آلهة الإغريق.

ليبيا مجسدة

إن معلوماتنــا عن ميثولوجيا الشــعوب القديمة ترتكــز اليوم من جانب على المصــادر الأدبية التاريخية ومــن آخر على ما كشــف عنــه التنقيــب الأثري الذي نشــط في القرنــين الأخيرين، ولقد اســتمرت المعلومــات الميثولوجيــة عن ليبيــا كمعبودة محصــورة في المجــال الأدبي التاريخي وحــده حتى تم الكشــف عن لوح التتويج الــذي عثه عليه بورشر وســميث خلال زيارتهما الأركولوجية ســنة 1860 م وهو نقش بارز عرف باســم « دي كربــوس DE-CARPOS » محفوظ بالمتحف البريطاني يمثل رســما للمعبــودة ليبيا وهــي تضع إكليلا عــلى رأس العذراء «قورينــا» بينما هذه تحاول الفتك بالأســد.

كــما ذكر المــؤرخ اليوناني باوزانيــوس PAUSANIUS - القــرن الميلادي الثاني – أن مــن بين مجموعة التماثيــل المهــداة إلى معبد أبولــون بدلفي خلال القــرن الخامس قبــل الميلاد تمثال للمعبــودة ليبيا وهــي تتوج الملــك «باطوس» مؤســس الأسرة الباطية ملكا عــلى قورينا.

ليبيا معبودة وطنية

إن في الــذي قمت به من دراســات ميثولوجيــة تاريخية ونشرتــه ملخصا في أكثر مــن موضوع وأكثر من كتــاب انتهــى بي إلى أن ليبيا معبــودة وطنية مرتبطــة ارتباطا وثيقــا بالإلهة «نيــت» المصرية، والإلهــة «تانيت» البونيقيــة – الليبية، وفي نظر البعــض موحدة بها، وعند هــيرودوت تجدها مرتبطة بأثينــا اليونانيــة وموحدة معهــا، ولكن غيره يراهــا أما لأثينا وليســت هي ذاتهــا ولا موحدة معها، وهذا يعنــي أن ليبيا شــخصية ميثولوجية ليبية الأصل كانــت موجودة قبل أن تدخــل الأدب اليوناني القديم.

(من كتاب المؤرخ «محمد مصطفى بازامة» والمسمى « ليبيا.. الاسم في جذوره التاريخية»)

اقتباسات

المكان

المكان ظاهرة ملفتة في الوعي الإنساني. كلنا نرتبط بالمكان، نحنّ إلى مرابع الطفولة، ربما لأنها تستعيد لنا مشاعر البراءة والأمان.. الإنسان الأول ارتبط بالغابة التي يجمع منها غذاءه، ثم بالكهف الذي منحه الأمان من الحيوانات المفترسة.. ثم بالقرية ثم المدينة ثم الوطن.

لماذا يفضل الناس اختيار الوطن كهوية ؟.. ربما لأنه المشترك الأعظم، قد تكون من بلدة كذا أو من قبيلة كذا أو من أصول عرقية مختلفة أو مذاهب وديانات متعددة، لكن الانتماء إلى وطن يجمعكم تحت مظلة واحدة متداخلا مع اللغة والتاريخ وبالتالي الثقافة، كل هذه التفرعات تجعل المكان كموضوع دراسة مثيرا ومدخلا إلى تأملات لا نهاية لها.

د. محمد المفتي

